

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(71) وفيه: أن هذا الجواب وإن كان أظهر الأجوبة إذ ليس فيه تفكيك بين الضمائر كما في سائر الأجوبة الآتية لكن الذي يردده هو بعده عن ظاهر الآية، إذ ليس فيها عن إيمان تلك الثلة القليلة أثر حتى يقع متعلق الكذب في قوله سبحانه: (قد كذبوا). وإن شئت قلت: ليس في مقدم الآية ولا في نفسها ما يشير إلى أنّه قد آمن بالرسالة قليلة وتظاهروا بالإيمان غير أنّه صدر عنهم ما جعل الأنبياء يظنون بكذبهم في ما أظهروه من الإيمان حتى يصح أن يقال إن متعلق الكذب هو هذا، وإنّما المذكور في مقدمها ونفسها هو مخالفة الزمرة الطاغية من أقوام الأنبياء وعنادهم ولجاجهم مع رسل الله وأنبيائه حيث يقول:

(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَذَٰكُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (1)

ومجرد قوله: (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) لا يكفي في جعل إيمانهم متعلقاً بالكذب، إذ عندئذ يجب أن تتعرض الآية إلى إيمان تلك الشذمة وصدور ما يوجب ظنهم بخلاف ما تظاهروا به حتى يصح أن يقال إن الرسل ظنوا أن المتظاهرين بالإيمان قد كذبوا في ادّعاء الإيمان بالرسالة. أضف إلى ذلك: إن هذه الإجابة لا تصحّح العصمة المطلقة للأنبياء، إذ على هذا الجواب يكون ظن الرسل بعدم إيمان تلك الشذمة القليلة خطأً، وكان ادّعاءهم للإيمان صادقاً، وهذا يمس كرامتهم من جانب آخر، لأنّهم تخيّلوا غير الواقع واقعاً، والمؤمن كافراً. على أن ذلك الجواب لا يناسب ذيل الجملة فإنّه سبحانه يقول بعد تلك الجملة:

(جاءهم نصرنا فنجّي من نشاء) مع أن المناسب على هذه الإجابة أن _____ 1 . يوسف: